

منهج الشيخ الحبيب بن عبد الرحمن السالي في توظيفه للقضايا اللغوية " شرح الفوز المبين بالمرشد المعين " أنموذجا

Sheikh Habib bin Abdul Rahman Al Sali method in his employment of linguistic issues
An explanation of the win shown in the appointed guide

محمد بن بشير يعيشي¹

جامعة أدرار - الجزائر

مخبر الدراسات الإفريقية - جامعة أحمد دراية

med.yaichi@univ-adrar.dz

تاريخ الوصول 2020/07/01 القبول 2022/08/21 النشر على الخط 2022/09/15

Received 01/07/2020 Accepted 21/08/2022 Published online 15/09/2022

ملخص:

يرتكز عملنا هذا على بحث المنهج اللغوي لدى المشايخ بالجنوب الجزائري، بالتعرض لجهودهم اللغوية، ولطرق تعاطيهم لعلوم اللغة في مؤلفاتهم وشروحهم للمتون.

ومن المصنفات التي أثارت انتباهنا - ولم نل حظها من البحث - كتاب "شرح الفوز المبين بالمرشد المعين" للشيخ الحبيب بن عبد الرحمن من منطقة توات، الذي وظف خلاله قضايا لغوية عدّة مستعينا بمنهج فريد لتيسير المسائل الفقهية والأحكام الشرعية متناولا المستويات المعجمية والصوتية والصرفية.

وتكمن أهمية بحثنا في كونه بيانا لتوظيف تلك المستويات اللغوية عند المتأخرين من علماء الجنوب الجزائري، ومن جملتهم: مولاي أحمد الطاهر الإدريسي وتلميذه الحبيب بن عبد الرحمن - محل دراستنا - ومحمد باي بلعالم...، وقد أسلمنا بحثنا لنتائج أهمها: إمكانية الاستفادة من نهج الشيخ في تعليمية العلوم الشرعية ومنها اللغة، وأن اللغة ستظل أداة من أدوات ترسيخ الشريعة يَبْدُ أنها تحتاج إلى من يتقن توظيفها.
الكلمات المفتاحية: الحبيب بن عبد الرحمن السالي - شرح الفوز المبين - المسائل الفقهية - مستويات اللغة.

Abstract:

Our research is subject to the linguistic approach of Sheikhs in southern Algeria, by exposing their linguistic efforts in their literature and explanations of the texts, and among their works is the book "Explanation of the Winning in the Specific Guide" by Sheikh Habib bin Abdel Rahman Battwat, in which he dealt with levels of lexical, audio and morphological to facilitate jurisprudence and Shariah issues. And the importance of research in explaining the employment of these linguistic levels among the scholars of southern Algeria, including: Moulay Ahmed Al-Idrisi and his student Habib bin Abdel Rahman and Muhammad Bay Balalem ... And that the language is a tool for establishing the law.

Keywords: Habib bin Abdel Rahman Al Sali - explanation of the win shown - Jurisprudence matters - Language levels.

البريد الإلكتروني: med.yaichi@univ-adrar.dz

¹ - المؤلف المرسل: محمد بن بشير يعيشي

1. مقدمة:

اجتهد علماءنا منذ القدم في تدليل المسائل الفقهية وتوضيح الأحكام الشرعية كلُّ بأسلوبه، وجنح المتأخرون منهم إلى التيسير والتسهيل على الدارس نظماً وشرحاً، وقد تناول علماء الجنوب الجزائري علوماً شتى في مؤلفاتهم وشروحهم، ومن تلك العلوم "الفقه"، فلم يدّخروا جهداً لتوضيحه وشرحه، مستخّرين اللغة وعلومها كوسيلة لتحقيق ذلك، ومن هؤلاء العلماء: "الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان السالي" صاحب "شرح الفوز المبين بالمرشد المعين"، وقد كان هدفنا في هذا البحث؛ الإجابة عن جملة من التساؤلات والإشكالات الماثلة في ما يلي:

- ما معالم توظيف الشيخ الحبيب بن عبد الرحمن للقضايا اللغوية؟ وما أهم القضايا اللغوية التي احتواها كتابه؟ - هل حقق التحليل اللغوي لديه الغاية في الشرح دلالة وأحكاماً؟ - كيف استطاع الجمع والتوفيق بين الفقه واللغة؟ - هل من الممكن استثمار جهود الشيخ في الرقي بالتعليم؟

وفي سَعِينَا للإجابة عما سبق نحاول السير وفق منهجية قوامها ترجمة موجزة للمؤلف وبيان أهمية شرحه لمتن المرشد المعين والمنهج الذي اعتمده فيه، ثم التعرض للقضايا اللغوية وما يصحبها من تحليل للظواهر الصرفية والمعجمية ثم النحوية والدلالية، والخلوص بعدها إلى النتائج.

2. ترجمة الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التّوّاتي السّالي والتعريف بشرحه.

1.2 . مولده ونشأته وطلبه العلم:

وُلد الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان العلوي سنة 1929م بقصبة مولاي عبد الله، ونشأ في تربية والده، وقد أدخله المدرسة القرآنية لحفظ كتاب الله، وحين ناهز العام التاسع عشر التحق بمدرسة الشيخ "مولاي أحمد الطاهري الإدريسي¹" وقد أبدى اهتماماً واجتهاداً، فإضافة لطلبه العلم عزم على خدمة شيخه والسعي في شؤون المدرسة والقيام عليها من تلقاء نفسه طلباً لمرضاة شيخه، بل وقد تولى إدارة شؤون تلك المدرسة عند غياب شيخه حافظاً لسره متصدياً للتعليم والتدريس².

2.2 . رحلته:

للشيخ الحبيب بن عبد الرحمان رحلتان بارزتان؛ إحداهما سفره مرافقاً لشيخه إلى الحج وكان ذلك سنة 1958م، والرحلة الثانية في الداخل: حيث انتقل من بلده سالي وهي موطن نشأته وتعلمه إلى قصر تاسفاوت ببلدية فنوغيل أدرار، وهناك أسس مدرسته الحبيبية سنة 1974م بمباركة من شيخه، وهي إلى الآن - والحمد لله - يتلقى فيها الطلبة شتى أصناف العلوم الشرعية واللغوية، كما كانت له رحلة إلى المغرب غرضه فيها زيارة قبر شيخه مولاي أحمد الطاهري³.

2.3 . وفاته وآثاره: قضى الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان جل حياته في أكناف العلم طلباً وتعلماً حتى وافته المنية بمدرسته الحبيبية بتسفاوت فنوغيل يوم 07 أوت 2004م، ولا تزال مدرسته تسير على نفس النهج التعليمي الذي سنّه لها مستمرة على يد تلميذه الشيخ مولاي الحاج، وقد ترك الشيخ رحمه الله من الدروس لطلابه في فنون عدة وقصائد منظومة - ومؤلفه المشهور شرح الفوز المبين بالمرشد المعين.

¹ - مولاي احمد الطاهري الإدريسي السباعي (1325 هـ - 1399 هـ) عالم مدرس مشهور أسس مدرسته بتوات .

ينظر مولاي أحمد الطاهري، فتوحات الإله المالك على نظم أسهل المسالك، ج 1-2، أدرار، د ت، ص 07.

² - ينظر: الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التّوّاتي السّالي، شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، ط2، أدرار، د ت، ص5-6.

³ - ينظر: المصدر السابق، ص 09.

3 . كتاب شرح الفوز المبين بالمرشد المعين: سبب تأليفه وأهميته.

يقع الكتاب في مائتين وإحدى وخمسين (251) صفحة، من جزء واحد في طبعته الثانية، استوفى فيه الشيخ مادته الفقهية، ويعد هذا الكتاب من أحدث الشروح الفقهية لمنظومة المرشد المعين لصاحبه عبد الواحد بن عاشر، وقد بين الشيخ رحمه الله سبب تأليفه إذ يقول: "... فقد سألت بعض الإخوان من الطلبة الذين كنت معهم بالمدرسة الطاهرية الإدرسية بسالي أن نجعل لهم شرحا على متن ابن عاشر، فطلبت منهم المساعدة لكثرة شُرّاحه ... فحثوا علي أن نجعله لهم...1". والشيخ نفسه يُقرّ بأنه دون فيه ما تلقاه عن شيخه من شرح لابن عاشر، كما أن الأصحاب أصروا عليه ليؤلفه لهم طلباً للتبسيط واستقطاب ما يُعين على الفهم من الفوائد الفقهية واللغوية.

4 . منهج الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان في شرحه:

يُعرّف المنهج لغة كما جاء في أساس البلاغة: "نَهج أخذ النهج والمنهج والمنهاج وطريق نَهَجٌ ... وَنَهَجْتُ الطريق ... واستبنته، ونَهَج الطريق وأنَهَج: وضح...2". والمنهج اصطلاحاً: "يعني الطريقة أو الأسلوب، ... والقصد من هذا المصطلح: الطريق أو السبيل أو التقنية المستخدمة لعمل شيء محدد، أو هو العملية الإجرائية للحصول على شيء ما أو موضوع ما...3"

من التعريفين اللغوي والاصطلاحي فمنهج الشيخ الحبيب عبد الرحمان يتجلى في الطريقة أو العملية الإجرائية التي انتهجها لتحقيق ما أراده من تيسير وتسهيل على طالب العلم ومريده في شرحه، ولما كان تركيزنا على بيان منهجه اللغوي في هذا العنصر من البحث فإننا سنذكر بعض ما يتعلق بمنهجه في شرح المنظوم عموماً، ثم منهجه اللغوي بوجه خاص.

بدأ الشيخ شرحه بما اعتاده غيره من الشُرّاح في مقدماتهم، فبعد الثناء على الله تعالى والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - راح يستظهر اسمه ونسبه ومنشأه وبيان سبب التأليف والاستعانة على عمله بالتوكل على الله تعالى، ثم عرّف بصاحب المتن "ابن عاشر" تعريفاً وافياً، وبعد ذلك شرع في شرح أبيات المنظوم تباعاً مرتبة من غير ترقيم، مستقصياً من المعارف والعلوم ما يراه خادماً للشرح، وهكذا إلى آخر التأليف نجده يختم بقوله: "ثم أتينا على ما قصدنا من حلّ ألفاظ متن ابن عاشر من غير تطويل ولا اعتساف والحمد لله كما بدأ يعود...4" ثم يتوسل ويتضرع إلى الله بقبول عمله منشئاً أبياتاً بلغت الستة عشر (16) بيتاً؛ تضمنت التوسل والدعاء ثم الصلاة والسلام على خير المرسلين - صلى الله عليه وسلم - ثم التصريح بتاريخ الفراغ من الشرح.

وإن ما يعيننا بالدرجة الأولى في منهجه هذا هو المنهج اللغوي الذي تبدت معالمه بعد شيء من النظر والفحص لمادة الكتاب في جملة من النقاط، نسعى إلى بيانها حسب ما يقتضيه المقام:

– الإحاطة باللفظ دلالياً ولغويًا وصرفيًا بأسلوب مترابط منسجم إمعاناً في الإيضاح والشرح : ويتضح هذا مثلاً في شرحه للفظ الأول من المتن، وهي كلمة: "يقول" فيشرحها على النحو الآتي: "يقول" مشتق من القول وهو كل لفظ نطق به اللسان ناقصاً أو تاماً مستعملاً أو مهملاً، وهو مضارع مرفوع لتجرده من النواصب والجوازم، أصله يُقُولُ بياء مثناة مفتوحة، وقاف فوقية ساكنة وواو مضمومة. ولام ك يُنصُر

1 - المصدر نفسه، ص 249.

2 - الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1998، ط 1، ج 2، ص 311.

3 - نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 285.

4 - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي، شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، ص 249.

وزناً فاستثقلت الضمة على الواو لاعتلالها وسكون الصحيح قبلها، فنقلت إليه، فصار يُقُول على وزن يُفْعَلُ بفتح الياء وضم الفاء الموحدة السفلية*، وسكون العين ولام مهملة¹.

- **تقصي اللفظ لغويا والإمعان في ذلك مع ذكر الأقسام والتفاصيل:** كما نجد في الصفحة الثلاثين (30) من الشرح حيث يتبع مصطلح "الحمد" لغة واصطلاحاً ثم يذكر أركانه: "حامد محمود، محمود به محمود عليه، وصيغة الحمد"، ويشير إلى أنواعه: "حمد باليد، وباللسان وبالضمير" ويبيّن أقسامه "حمدان قديمان وحديثان" 2 ويتعرض إلى "ال" التعريف ومدلولها فهي إما للعهد أو الاستغراق، وهذا التقصي - وإن لم يكن شائعاً في الشرح - يبيّننا بالثراء اللغوي عند هؤلاء المشايخ .

- **الاستعانة بالشواهد الشعرية على بعض المسائل من غير الإشارة لمصدرها وقائلها أحيانا:** ومن مواضع ذلك تفصيله في اللام الجارة لاسم الجلالة في لفظ "لله" فيقول: "وفي كون اللام الجارة في قوله: "لله" للاستحقاق أو للاختصاص أو للملك خلاف وأرجح الخلاف كونها للاستحقاق" 3، وأما الشاهد في مثل تناوله ل: "ال" التعريف في لفظ "الحمد" فهو يستشهد بقول بعضهم:

وَ ال فِي حَمْدِ رَبِّنَا الرَّزَاقِ تَحْتَمِلُ الْعَهْدَ وَالِاسْتِغْرَاقَ 4

ومن الآراء التي أنكرها الشيخ في هذه المسألة ما ذهب إليه الزخشري في زعمه أنها للجنس⁵.

- **الاختصار والتبسيط في بيان الموقع الإعرابي للفظ وإهمال العلامة الإعرابية أحيانا:** وقد يكون ذلك من الشرح بسبب سهولة إدراك القارئ لها أو طلباً للاختصار أو اهتماماً منه بالحكم الفقهي، ومن أمثلة ذلك ما نجد في قوله: "الذي" اسم موصول وهو صفة لله. "فذكر الموقع ولم يذكر علامة البناء، ومن ذلك قوله: "تفيد" جملة فعلية صفة لأمي" 6، فرغم ذكره للموقع إلا أنه لم يبين علامته الإعرابية بحكم سهولة إدراكها من خلال التبعية للأمي.

- **الاستشهاد بالقرآن على بعض القضايا اللغوية:** وهو أمر درج عليه العلماء، ومن ذلك تعليقه لنون العظمة في قول الناظم: "علّمنا" بقوله: "وأتى بنون العظمة شكراً للنعمة" 7... عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ 8.

- **الاسترسال في توضيح بعض الاستعمالات اللغوية للفظ مع تعليلها:** وهذا ما نلمسه في شرحه للفظ "وبعد" فيقول: "وبعد" الواو عاطفة أو استثنائية أو نائبة عن أمّا أقوال ثلاثة: "وبعد" كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب وهو ظرف مبهم لا يفهم

* - وذلك حسب الكتابة المغربية، إذ يكون نطق الفاء بوحدة أسفلها، ونطق القاف بوحدة أعلاها، كما هو معروف.

1 - المصدر السابق، ص 28.

2 - المصدر نفسه، ص 30.

3 - المصدر السابق، ص 31.

4 - المصدر نفسه، ص 30.

5 - عبد الرحمان عقيب الجزائري، موقع أهل الحديث مسألة الـ والخلاف حول دلالتها ملتقى أهل الحديث 23-06-2012م. موقع إنترنت:

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=330689>

6 - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي، شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، ص 31.

7 - المصدر نفسه، ص 47.

8 - الضحى، الآية 11.

معناه إلا بالإضافة... وئبي إجماعا لانقطاعه عن الإضافة ... "1. ويسترسل في بيان مواضع استحباب استعمالها، وذكر الخلاف حول أول من قالها.

- الإمعان في إيضاح بعض القضايا النحوية وتحليلها مع إفادة القارئ بما يشبهها: وهذا نجد في مواضع عدة منها: الفاء من قوله: "فالعون رابطة بين الشرط المقدر بعد الواو السائبة عن أمّا التي أصلها مهما وجوابه، وهو الجملة الاسمية... كما ألغز بعضهم فقال: 2

ومّا واؤ لها شرطٌ يليه جوابٌ قرئته بالفاء حتماً؟
جوابه: هي الواو التي قرئت ببعُد وأما أصلها والأصل مهما.

ومن ذلك بيانه لحالات "الفاء" في قول الناظم: "فواجب" من خلال قوله: "الفاء تفصيلية لما تقرر عند النحويين ، من أنّها إذا جاءت من بعد إجمال فهي للتفصيل ، وإذا كان ما قبلها علة لما بعدها فهي تفرعيه، وإن كان العكس فهي تعليلية، وإن كانت رابطة ما بين شرط مقدر وجوابه فهي فصيحة 3 وأشار إلى ما ذكر بعضهم بقوله: 4

والفاءُ للتفريعِ جاءتْ إنْ يَكُنْ ما قدّمُوهُ عِلَّةً للأحِقِ
والعكسُ للتعليلِ وهي فصيحَةٌ مَهْمَا أتتْ لجوابِ شرطٍ سابقِ
وإذا أتتْ من بعدِ إجمالٍ فإلـ تفصيلٍ فأعلّمهُ بنظمِ رائقِ.

ومن ذلك تعليه لحذف النون من الفعل الناقص "يكن" في قول الناظم "لو لم يك" بحذف نون يكن لضرورة الوزن، وأما في الاختيار فقد منعه أكثر النحويين لملاقاتها للساكن 5، وأجازه يونس وابن مالك من توقف على الضرورة كما في الألفية: 6

ومن مضارعٍ لكانَ مُنحَرِمٌ تُحَدَفُ نونٌ هُوَ حُدِفَ ما التَّرمِ

- تفسير بعض الاستعمالات الصرفية: وأوضح شاهد في الشرح على ذلك في قوله: "أبيات" جمع بيت ووَضِعَ - يعني الناظم - جمع القلّة موضع جمع الكثرة لفق جمع الكثرة في هذا، إذ لا يقال في بيت الشعر بيوت لعدم وروده عند العرب، أو لندور وروده... 7. وفي هذا المقام وغيره يُظهِرُ الشيخ ومضات عروضية كتعريفه لبيت الشعر وما يَبْنِي منه، وعرضه لتفاعيل بحر الرجز الذي بُنِيَت أبيات المتن عليه، كما يشير للضرورات الشعرية أحيانا وإشارته لألف إطلاق القافية إذا استدعى الشرح ذلك.

* ملاحظات حول منهج المؤلف:

- تكرار بعض التعريفات لبعض المصطلحات لغويا واصطلاحيا إذا تكرر ورودها في المتن: وقد يكون غرضه ترسيخها لدى المتعلم، وقد يكون التكرار راجع لأهمية اللفظ في الباب الوارد فيه، كمثّل كلمة "الحمد"، "الزكاة"، "مقدمة"، "الحج".

1 - المصدر السابق، ص 46.

2 - المصدر نفسه، ص 46

3 - المصدر السابق، ص 57.

4 - ينظر الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري (1298هـ)، الكواكب الدرية شرح على متن الأجرومية ويليه منحة الواهب العلمية، شرح شواهد الكواكب الدرية لعبد الله يحيى الشعبي دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2017 ط 1، ج 1- ص 543.

5 - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين د ت، ص 103.

6 - ابن مالك، ألفية ابن مالك الخلاصة في النحو، تحقيق سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1428هـ، ص 91.

7 - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، د ت، ص 47.

- تغليب الجانب المعجمي على غيره: فقد طغت التعريفات لغة واصطلاحاً: وهو أمرٌ مهمٌ في الشرح لأجل بيان مدلول الكلمات وتحديد المقصود منها.

- انحسار وتراجع الاهتمام بالجوانب النحوية والصرفية كلما تقدم المؤلف في الشرح: وقد يرجع الأمر في ذلك إلى الرغبة في الإيجاز من جهة، وإلى تركيز المؤلف في شرحه على إبراز القضايا الفقهية والإيمانية، وهذا في النصف الثاني من الشرح تقريباً.

- استناد الشيخ إلى بعض آراء وأقوال العلماء في الفقه والعقيدة واللغة، ومن جملتهم: الجزولي، ابن السبكي، الغزالي، ابن العربي، القشيري، الزمخشري وسيبويه وابن مالك... .

إن هذا المنهج يعكس قدرة الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان على استثمار ثقافته الدينية واللغوية واستفادته من غزارة علمه في تأسيس شرح يُمتنع القارئ، ويتنقل فيه من فضاء لآخر من غير ملل، فكان منهجه هذا منهجاً علمياً تعليمياً تعليمياً متمسماً بالبسط والإيضاح مستفيداً فيه من التحليل والتفسير والوصف. وقد استطاع من خلال ذلك كله تقديم شرح يسهل على الدارس الظفر منه بمبتغاه.

5 . من القضايا الصرفية والمعجمية والنحوية في شرح الفوز المبين:

استطاع المؤلف إثراء شرحه بجملة من المباحث اللغوية الصرفية والمعجمية والنحوية التركيبية والدلالية، وإن كان التداخل بين هذه المستويات أمراً واقعاً فإننا سنحاول الاقتصار على الجانب الصرفي والمعجمي والنحوي من خلال انتقاء نماذج وتحليلها كشواهد على الحضور اللغوي في هذا الشرح، وهي نماذج منتقاة من باب الاستدلال بالجزء على الكل.

5.1 . من القضايا الصرفية في شرح الفوز المبين

يُعرف الصرف بأنه: "أصول وقواعد تعرف بها أحوال بنية الكلمة"¹، وله منزلته بين مستويات التحليل اللغوي، وللصرف أهمية بالغة في الإيضاح والشرح أدركها اللغويون، فالسيوطي يقول: "أما التصريف فإن من فاته علمه فاته المعظم"²، ومن هنا تتجلى أهمية الجوانب الصرفية في الشرح حيث يعين على الوصول إلى معاني الصيغ والأبنية، و تكمن أهميته أيضاً في التوصل إلى فهم السياقات، وقد ساق ابن هشام في حديثه كلاماً يبين ذلك جاء فيه: "التصريف أحد أركان الأدب، وبه سعة كلام العرب، ومنه يتدرج إلى اللغة العربية ويتوصل إلى حل العويصات الأدبية"³، ولهذا الغاية لم يهمله الشيخ في شرحه لمنظوم ابن عاشر، ومن الظواهر الصرفية التي أتى عليها في شرحه:

- الإعلال: من العلة وهي المرض أو ما يشغل المرء عن حاجته، فعند ابن منظور "يُقَالُ إِعْتَلَّ الْعَلِيلُ عِلَّةً... عَلَّ يَعْطَلُّ وَعَتَلَّ أَي مَرِضَ فَهُوَ عَلِيلٌ... وَالْعِلَّةُ الْحَدَثُ يُشْغِلُ صَاحِبَهُ... وَحُرُوفُ الْعِلَّةِ وَالْإِعْتِلَالُ: الْأَلْفُ وَالْيَاءُ وَالْوَاوُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِئِنَّهَا وَمَوْحَا"⁴ وهو أيضاً: "قلب حرف العلة أو حذفه أو تسكينه أو نقله، وعليه يكون الإعلال بالقلب أو الحذف أو التسكين أو النقل"⁵. نجد في "يقول" حيث يبين الشيخ وزنه الأصلي بقوله: "أصله يَقُولُ بياء مُثَنَّةً مفتوحة وقاف فوقية ساكنة وواو مضمومة... ك ينصُر، فاستثقلت الضمة على الواو

¹ - فخر الدين قباوه، تصريف الاسماء والأفعال، جامعة حلب، ط 1، 1978، ص 13.

² - جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج 1، د ت، ص 335.

³ - ابن هشام الأنصاري، نزهة الطرق في فن الصرف، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الزهراء القاهرة، 1990، ص 2.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث للنشر، الجزائر، ط 2008، ج 1، ص 359.

⁵ - صلاح الدين سعيد حسين، التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، رسالة جامعية إشراف سامي عوض، جامعة تشرين، سوريا، 2009، ص 48.

لاعتلالها وسكون الصحيح قبلها فنقلت إليه فصار يُقُولُ على وزن يُفْعَلُ...¹، ونجد الإعلال بالقلب في كلمة: "الصلاة" فيقول: "وأصل الصلاة صَلَوَةٌ بتحريك الواو على وزن فَعَلَةٌ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فلامها واو، ولذا جُمعت على "صلوات".²

- الحذف: وقد أورده ابن جني في باب فكّ الصيغ في قوله: "وذلك أنّ العرب إذا حذفن من الكلمة حرفاً إما لضرورة أو إيثار فإنها تُصوّر تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويراً تقبله أمثلة كلامها ولا تعافه وتمجّه لخروجه عنها...³، ومن الحذف المشار له في الشرح ما يتعلق بكلمة "الأملاك" جمع ملك بفتح الميم واللام... وقيل أصله مألِك بجمزة قبل اللام على وزن مفعول من الألوكة وهي الرسالة لأن الملك يُرسَل ويسخّر في تنفيذ أوامره تعالى"⁴ وفي ذلك إشارة إلى حذف الهمزة بعد الميم.

- العناية بالمصادر: نجد المؤلّف يسمي بعض المصادر؛ فمثلاً: كلمة "مات" يعتبرها مصدراً ميمياً أو اسم مصدر بمعنى الموت، وكذلك كلمة "خَلَفَهُ لخلقه" كما جاء في النظم:⁵

وخلّفه لخلّفه بلا مثال ووخذة الذات ووصف والفعال

يعتبرها مصدراً سماعياً أي مخالفته لخلقه، وكلمة "لِ خَلْفَهُ" يعتبرها مصدراً بمعنى اسم مفعول أي ل مخلوقاته.

- الجموع: يعرف الجمع بأنه "الاسم الدال على أكثر من اثنين، موضوع لمجموع الآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرر الواحد بالعطف، وله أوزان خاصة"⁶. ومن الجموع المشار لها في الشرح: كلمة "أبيات" فيقول الشارح: "أبيات جمع بيت، ووضع جمع القلة موضوع جمع جمع الكثرة"⁷، وقد سبق ذكر هذا و بيانه في عنصر المنهج اللغوي.

كما يوضح أن كلمة "ملك" تجمع على ملائكة و ملائك بالتاء وعدمها، لكن إذا جردت عن التاء وجب منعها من الصرف لأنه من صيغ منتهى الجموع.⁸

وقد يستند إلى الأوزان الصرفية في تحديد بنية اللفظ كبيانه بنية كلمة "أول" فيقول: "أصلها أول فُلبت الهمزة واواً وأدغمت الواو في الواو فصار على وزن فَعَلٌ..."⁹ وأحياناً نجده يتبين حركات اللفظ قبل بيان معناه كما في كلمة: "يقول" بياء مثناة مفتوحة وقاف فوقية ساكنة وواو مضمومة كينصُر وزناً".

وأحياناً نجده يعود بالكلمة إلى جذرها وذكر الفعل منها توسيعاً في الدلالة كما في كلمة "مُقدّمة" فيقول: "بكسر الدال مأخوذة من مقدمة الجيش وهي من مادة قدم اللّازم، ومن قدم المتعدي لأنها لما اشتملت على سبب التقديم صارت كأنها تقدم نفسها وتقدم عارفها على غيره يجعلها إياه ذا بصيرة"¹⁰.

¹ - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، د ت، ص 28-60.

² - المصدر نفسه، ص 127.

³ - ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط 2، ج 3، 2003، ص 111.

⁴ - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين د ت، ص 133

⁵ - عبد الواحد بن عاشر، متن ابن عاشر المرشد المعين، المطبعة التعاليمية، الجزائر، د ط، 1343 هـ، ص 3.

⁶ - محمد خالد رجال العبيدي، اسم الجمع في العربية دراسة نحوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، بغداد، عدد 16، 2008، ص 415.

⁷ - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، د ت، ص 47-133.

⁸ - المصدر نفسه، ص 148.

⁹ - المصدر السابق، ص 60.

¹⁰ - المصدر نفسه، ص 54.

5. 2. من القضايا المعجمية في شرح الفوز المبين:

اعتنى الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان بالمفردات عناية بالغة، فلا يكاد يمر بالكلمة من المتن حتى يعرفها لغة واصطلاحاً، ونادراً ما يسند التعريف لقائله ومن السند النادر في شرح الفوز المبين قول الشيخ في تعريف السبب "السبب في اللغة هو الحبل...، وفي الاصطلاح عرفه ابن السبكي كما هو للغزالي في المستصفي بقوله: " والسبب: الذي أضيف الحكم له لعلقة من جهة التعريف له."1 والشواهد على تلك التعريفات كثيرة، ويكفيها الإشارة إلى بعض القضايا المعجمية ومنها:

- **الاشتقاق:** جاء في لسان العرب "...واشتقاق الشيء: بُنيائه من المرتحل، واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يمينا وشمالا، واشتقاق الحرف من الحرف أخذته منه. يقال شقق الكلام إذا أخرجته أحسن مخرج..."² يعني ذلك أن يؤخذ من كلمة إلى أخرى فيكون بينهما تناسب في المبنى، وزيادة للثانية عن الأولى في المعنى، ويؤيد هذا ما جاء في القول عن الاشتقاق أنه: "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب، ليُدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافا حروفا وهيئة"³.

ومن أمثله في شرح الفوز المبين ما يتعلق بكلمة "واجب" فعدها الشيخ اسم فاعل من وجب، ويرى الشيخ أن الناظم عزفه دون الوجوب لأنه مشتق منه، والمشتق يتضمن المشتق منه وزيادة، وكذا حين إيضاحه لاسم العلم "محمد" وبيانه أنه منقول من حمد المضعف للمبالغة، وقال إنَّ محمداً أبلغ من محمود.⁴

- **المشترك اللفظي:** يعرفه السيوطي بقوله: "...وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"⁵. ومن المشترك اللفظي الذي تطرق له الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان كلمة: "القنوت" حيث قال: "... والقنوت في اللغة يستعمل بإزاء معان منها الطاعة...، والعبادة...، والسكوت...، والقيام في الصلاة"⁶، ويشير إلى هذه المعاني المعاني بأبيات لابن حجر أوردتها في الشرح.

- **الفروق اللغوية:** اعتنى الشيخ في شرحه بالفروق اللغوية إزالةً للبس على المدلولات الدقيقة للألفاظ، وإفادةً للقارئ والمتعلم، ولاشك أن مسألة الفروق اللغوية قد عني بها اللغويون قديماً كابن قتيبة الذي أفرد باباً بأسماء: "باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه"⁷ وذلك في كتابه: "أدب الكاتب".

ومن الشواهد على الفروق اللغوية في شرح الفوز المبين: ذكر الفرق بين ما يلي: "السهو والنسيان" وبين "الذخيرة والدخيرة" وبين "نحفز" وبين "ميت وميت وبين" الجنازة والجنازة" و"السدر والسدير"⁸، وقد فصل الشارح الفرق بين كل كلمتين موضحة دلالة كل منها، وقد يردف الشواهد الشعرية أو النثرية ذات الصلة بتلك الدلالات مما يمكن الاطلاع عليه بالرجوع إلى الشرح.

¹ - المصدر نفسه، ص148

- ينظر: أبو حامد محمد الغزالي، المستصفي من علم الأصول، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، 2008م، ج1، ص312.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص183.

³ - عبد الله أمين، الاشتقاق، مكتبة الخاجقحي، د ط، 2000م، ص07.

⁴ - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، ص36-57.

⁵ - جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص369.

⁶ - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، ص185.

⁷ - ابن قتيبة، أدب الكاتب - تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985، ص21.

⁸ - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، ص112-113-186-190-194.

5. 3. من القضايا النحوية في شرح الفوز المبين :

إضافة إلى تلك القضايا الصرفية والمعجمية والدلالية يطالعنا المؤلف بجهد لغوي بارز في الشرح، تتجلى فيه بعض القضايا النحوية المتعلقة بألفاظ المتن حروفاً وأفعالاً وأسماء.

فمن القضايا النحوية عرضه الآراء النحوية المختلفة ومناقشتها، ومن ذلك ما نجده في بيانه حقيقة بعض الحروف كاللام الجارة للفظ الجلالة بقوله: "وفي كون اللام الجارة لاسم الجلالة في قول الناظم: "الله" للاستحقاق أو للاختصاص أو للملك خلاف، وأرجح الخلاف كونها للاستحقاق.

وكذا ذكره للأقوال المتعلقة بـ "الواو" قبل كلمة "بعد"، فيقول: "الواو عاطفة أو استئنافية أو نائبة عن أمّا أقوال ثلاثة." 1 وهو ما نجده أيضاً في بيانه معاني الفاء في قول الناظم: "فواجب" حيث يقول الشيخ: "الفاء تفصيلية لما تقرر عند النحويين من أنّها إذا جاءت من بعد إجمال فهي للتفصيل، وإذا كان ما قبلها علّة لما بعدها فهي تقريبية وإذا كان العكس فهي تعليلية، وإذا كانت رابطة ما بين شرط مقدر وجوابه فهي فصيحة." 2

ومن القضايا النحوية تعليقه بعض الحالات الإعرابية في الأفعال تعليلاً عروضياً، فلفظة "عمّ" الساكنة الآخر أصلها عمّ وهي فعل ماض مبني على الفتح، ونجد هذا أيضاً في الفعل "لزم" الوارد بالسكون فيقول الشيخ: "وقف عليه بالسكون ... للضرورة الشعرية." 3 وهذه الضرورات -على كل- شائعة في أغلب المتون والمنظومات التي لا تخضع أبحاثها لقافية موحدة.

ومن القضايا اللغوية التي مسّت الأسماء تفصيله في حكم الاسم الذي يعقب اسم الإشارة ومن الشواهد في هذا كلمة: "الثلاث" فيقول الشارح: "الثلاث بالرفع نعتٌ أو بدل أو عطف بيان عن اسم الإشارة." 4 وهذا في قول الناظم 5:

إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ إِنَّهُ يَرَاكَ وَالذَّيْنُ ذِي الثَّلَاثِ خُذْ أَقْوَى عُرَاكَ

ومن القضايا التي تجدر الإشارة إليها جرّص المؤلف على إيراد ما يعزز مذهبه الإعرابي للكلمات فيورد من أبيات الألفية وغيرها من الشواهد التي جاءت على سبيل الإلغاز، ويمكن مطالعة ذلك في الشرح (ص: 31، 46، 57، 103، 117).

5. 4. من القضايا الدلالية في شرح الفوز المبين عند الشيخ الحبيب بن عبد الرحمان :

إن القارئ لهذا الشرح يجد نفسه أمام كمّ هائل من الألفاظ ذات الدلالات الدقيقة من تلك التعريفات اللغوية والاصطلاحية، فلا تكاد تمر بلفظ إلا وتجد له تعريفه اللغوي والاصطلاحى، ما يوحي بوسع اطلاع الشيخ واستناده للمعاجم اللغوية، وقد انتهج المؤلف في ذلك منهجاً بيّن فيه دلالة الألفاظ وتفسير المفردات معجمياً للإحاطة ببنية الكلمة ودلالاتها، ومثال ذلك ما ورد في معرض حديثه حول كلمة (يَسْتَحِيل) فيقول: "...مأخوذ من الاستحالة، وهي تغير الشيء عن طبعه ووصفه... والمستحيل بمعنى المحال، وهو الباطل الغير ممكن الوقوع، والسين والتاء قيل للطلب... واستُبعد هذا القول، وقيل همل للمطاوعة، وهو أشد استبعاداً مما قبله، وقيل أنّهما زائدتان لا تدلان على شيء، وقيل أنّهما للتأكيد والمبالغة في النفي والاستحالة، وهذا هو الصحيح...". 6 فقد أشار لما يحتمل فهمه من دلالات جرّاء زيادة السين والتاء.

1 - المصدر نفسه، ص 57.

2 - المصدر نفسه، ص 57.

3 - المصدر السابق، ص 74-103.

4 - المصدر نفسه، ص 143.

5 - عبد الواحد بن عاشر، متن ابن عاشر المرشد المعين، ص 6.

6 - المصدر نفسه، ص 93.

ونجد عناية الشيخ بالدخيل، كما يظهر في بيان بعض مفردات المتن "كالقسطاس" فيبينها بقوله: "بضم القاف وكسرهما، وهو الميزان باللغة الرومية والمراد به هنا حكم الشرع...".¹

والشيخ يحدو حدو غيره في بيان دلالة اللفظ عند الانتقال من العام إلى الخاص حينما يعرض للتعريف اللغوي ثم الاصطلاحي في بيان مدلول المفردات الفقهية كالصلاة والصوم والتميم...، فيعرّف التيمم مثلاً بقوله: "والتيمم في اللغة: القصد... واصطلاحاً: طهارة ترابية تتعلق بأعضاءٍ مخصوصة بفعل مخصوص تستعمل عند عدم الماء أو العجز عن استعماله...".²

بعد تنقلنا بين تلك الطائفة من القضايا اللغوية المختصرة، أمكننا الخلوص إلى جملة من الميزات التي امتاز بها التحليل اللغوي بمختلف قضاياها في هذا الشرح، وأهمها: أن المسائل المعجمية كانت أكثر كثافة من غيرها، فقد بلغ تعدادها ثلاثاً وخمسين (53) مسألة، وتليها المسائل النحوية، وتعدادها ست وعشرون (26) مسألة، أما المسائل الصرفية فبلغت العشرة (10) مسائل، وما ورد في البحث منها كان على سبيل المثال لا الحصر، وقد أفاد الشيخ في شرحه من مؤلفاتٍ غيره في الفقه واللغة، ومن جملتها: شرح الوسطى للسنوسي، والكشاف للزخشري، والمستصفي للغزالي، وتعليقه على ما ورد في الكتاب لسيبويه عن لفظ الجلالة أنه أعرّف المعارف، وما تلك الشواهد والآراء التي أدرجها وناقش بعضها؛ سوى دليل على تلك الإفادة، كما أنه وبعد عرضه الآراء في بعض المسائل وجدناه يرجح إحداها على الأخرى معللاً مذهبه فيها، وقد غلب عنده في الجانب النحوي التطبيق على التنظير، يظهر هذا في بيانه للموقع الإعرابي والوظيفة النحوية للكلمة، واهتمامه كان منصباً أيضاً على حروف المعاني وقد بسط حولها آراءً خلافية -متفرقة في الشرح- حول معانيها في سياقات النظم، كقوله في الفاء المتصلة بلفظ (فَوَاجِبٌ) ما نصه: "الفاء تفصيلية لما تقرر عند النحويين من أنها إذا جاءت من بعد إجمالٍ فهي للتفصيل، وإذا كان ما قبلها علماً لما بعدها فهي تفرعية، وإن كان العكس فهي تحليلية، وإن كانت رابطة ما بين شرط مقدّر وجوابه فهي فصيحة...".³ وهكذا دأبه مع معظم حروف المعاني في المتن مما لا يتسع له المقام.

6 . خاتمة:

فسح لنا هذا البحث المتواضع مجالاً لإثارة بعض من قضايا اللغة وأثرها في خدمة الشريعة ضمن أتمودج من تراث الأمة، ممثلاً في أحد مؤلفات علماء الجنوب الجزائري كنموذج شاهد عن غيره من المؤلفات التي التزم أصحابها فيها منهاجاً علمياً تعليمياً، واستطاعوا خلالها استثمار اللغة وقضاياها لخدمة أهدافهم في مؤلفاتهم وشروحهم للمتون ضمن مختلف الفنون، ومنها الفقه وغيره كما في شرح الفوز المبين. وما تطرقنا إليه في بحثنا هذا من قضايا يُعد - بلا شك - قليلٌ من كثير تعسّر بسطه، إذ يمكن للدراسات الموسعة والمعقدة استيفاء قدرٍ وافر منها، ونبش جوانب عديدة تفتح على آفاق أخرى، إلا أنه وبحمد الله أمكننا الخلوص إلى نتائج نحائلاً تفي بالعرض إن شاء الله، ومن أهمها ما يلي:

*- تتجلى في منهج الشيخ ميزتان هما: - وصل الماضي بالحاضر؛ إذ قدّم رصيّد الماضي للحليل الحاضر بأسلوب بناء وفهم ثاقب إمعاناً في تيسير المعرفة. - كما وُقّق الشيخ في منهجه للربط بين اللغة والجانب الديني (الفقه) مما يؤكد أن اللغة خادمة له منذ تأسيس علومها ولا تزال.

*- إن الثنائية المعرفية اللغوية والدينية التي استثمارها الشيخ ضمن منهجه في شرحه للمرشد المعين تؤكد العلاقة الوثيقة بين العلوم اللغوية والعلوم الدينية.

¹ - الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، د ت، ص 244.

² - المصدر نفسه، ص 170.

³ - المصدر السابق، ص 57.

- *- تباينَ الحضور اللغوي عند الشيخ في شرحه تحليلاً واستشهاداً، فقد أغرَقَ أول الأمر في القضايا اللغوية على اختلافها ثم تضاعف ذلك تباعاً مع التقدم في الشرح، وما يفسر ذلك هو: تركيزه على الجانب الفقهي، وتفاديه التكرار، ورغبته في الإيجاز.
- *- يكشف البحث عن المنزلة اللغوية المرموقة للشيخ وغيره من علماء عصره في الجنوب إضافة لمنزلتهم الدينية.
- *- يقدم الشيخ منهجية يمكن الاستفادة منها في تعليمية العلوم الشرعية وتعليمية اللغة.
- *- قد يفتح هذا البحث آفاقاً متعددة لبحث قضايا المنهج واللغة وأثرهما في علوم الشريعة ضمن مؤلفات علماء الجنوب الجزائري.

7. قائمة المراجع:

- * القرآن الكريم .

- * ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 2003، عدد الصفحات 1448.
- * ابن مالك، ألفية ابن مالك الخلاصة في النحو، تحقيق سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1428هـ، عدد الصفحات 230.
- * ابن هشام الأنصاري، نزهة الطرق في فن الصرف، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الزهراء القاهرة، ط1، 1990م، عدد الصفحات 215.
- * أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، 2008م، ج1، عدد الصفحات 370 .
- * ابن منظور، لسان العرب، تحقيق خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث للنشر، الجزائر، ط 1، 2008.
- * الحبيب بن عبد الرحمان العلوي التواتي السالي، شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، أدرار، ط2، د ت، عدد الصفحات 251 .
- * الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1998، ط1، ج2، ص311. عدد الصفحات 671 .
- * جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، عدد الصفحات 636.
- * أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر (ت1040هـ)، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين المسمى متن ابن عاشر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د ط، 1343هـ، عدد الصفحات 30 .
- * محمد بن أحمد بن عبد الباري (1298هـ)، الكواكب الدرية شرح على متن الأجرومية ويلييه منحة الواهب العلمية، شرح شواهد الكواكب الدرية لعبد الله يحيى الشعبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، ج 1، 2017م، عدد الصفحات 647.
- * مولاي أحمد الطاهر، فتوحات الإله المالك على نظم أسهل المسالك، ج1، دط، د ت، عدد الصفحات 216.
- * صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط4، 1980، عدد الصفحات 487.
- * عبد الله أمين، الاشتقاق، مكتبة الحاجكجي، د ط، 2000م، عدد الصفحات 466.
- * فخر الدين قباوه، تصريف الأسماء والأفعال، جامعة حلب، بيروت، ط1، 1978، عدد الصفحات 272.

*محمد خالد رحال العبيدي، اسم الجمع في العربية دراسة نحوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، بغداد، العدد16، 2008، عدد الصفحات 745.

*نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000 ط1، مجلد1، عدد الصفحات 420

*صلاح الدين سعيد حسين، التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، رسالة جامعية إشراف سامي عوض، جامعة تشرين، سوريا، 2009، عدد الصفحات 405.

*عبد الرحمان عقيب الجزائري، موقع أهل الحديث مسألة الـ والخلاف حول دلالتها ملتقى أهل الحديث 23-06-2012م. موقع إنترنت: <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=330689>